تعيينات آل الكتروسي في المناصب الدينية بمدينة مازونة على العهد العثماني من خلال الوثائق التاريخية

د. لعباسي محمد

جامعة وهران1 أحمد بن بلة

med.labbaci@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2018/03/25، تاريخ القبول: 2018/04/03

الملخص:

تعالج هذه المقالة الوظائف الدينية التي تولاّها أفراد من عائلة آل الكتروسي بحاضرة مازونة من خلال الوثائق العثمانية، وهي وظيفة القضاء، الإفتاء، الخطابة، فإمامة الصلاة، وذلك استنادا إلى أربعة ظهائر عثمانية تتضمن تعيينات لأفراد من عائلة كتروسي بمدينة مازونة في هذه المناصب الدينية المذكورة، مع بيان أهم الامتيازات التي يتحصل عليها المعيّن في هذه الوظائف من إعفاءه عن دفع الضرائب، ووجوب احترامه من طرف الجميع.

وفي الخاتمة تمت الإشارة إلى أهمية مثل هذه الوثائق في إبراز تاريخ حاضرة مازونة عاصمة بايليك الغرب الجزائري، وحاضرة من أشهر حواضر العالم الإسلامي خلال هذه الفترة.مع وجوب اظهار الوثائق الموجودة في رفوف المكتبات الخاصة، والتي من شأنها أن تساعد المؤرخ للكتابة عن هذه المدينة.

الكلمات المفتاحية: مازونة، الوظائف الدينية، الوثائق، العثمانية، العلماء

Abstract:

This article treats the religion jobs that were took by the members of ELKETROUCI family in the city of mazouna through the othmanian documentation, which are the judge job and ifta and prayer based on the four othmanian records that contain designation of members of ELKETROUCI family in the city of mazouna in the religion jobs that were stated above with the benefits that they got from taking these jobs with the exemption from paying taxes and the respect that must be given by everyone.

المنارة للاستشارات
ww

تمهيد:

كان المغرب الإسلامي خلال القرن الخامس عشر ميلادي في مرحلة ضعف كبير، إذ سقطت الأندلس بين أيدي الإسبان، وضاعت من المسلمين، وكانت البلاد في شمال إفريقية مشتتة إلى دويلات متناحرة فيما بينها، الواحدة تريد السيطرة والاستيلاء على الأخرى، مثل ما كان الحال عليه حينما غارت الدولة الحفصية على الزيّانية في العديد من المرات، وكانت الحدود الجغرافية بينهما في مد وجزر، والأمر تقريبا نفسه على الجارة الغربية للزيّانيين[1]، وعرفت هذه البلاد أيضا استيلاء المحتل الإسباني الذي كان في أوج تطوره العسكري، على بعض المدن الساحلية[2] مثل : وهران ، بجاية ، تنس...، والتي أصبحت تحت تصرفه.

وفي هذه الظروف سطع نجم الأخوين خير الدين بربروس وأخيه عروج في تونس، فسعى علماء الجزائر في ربط الاتصالات بهما، ودعوتهما لإنقاذ البلاد من وطأة المحتل الإسباني فلبيّا النداء، وكان لهما الفضل في الوجود العثماني في الجزائر، وإلحاقها بالخلافة سنة 926هـ/1520م، ومنذ هذا التاريخ والجزائر إيّالة عثمانية، تُسير تسيرا عثمانيا، تطبق فيها قوانينها، وتنظيماتها الإدارية، فقد قسمت البلاد إلى دار السلطان متمثلة في مدينة الجزائر وما جاورها من حجوط غربا، إلى مدينة دلس شرقا، وبايليكات ثلاثة: قسنطينة في الشرق، التيطري في المدية، أمّا في جهة الغرب، فكانت عاصمته في البداية مازونة، ثم انتقلت إلى معسكر، وبعد فتح وهران الأخير سنة 1206هـ/1792م، أصبحت هذه الأخيرة عاصمة لبايلك الغرب[3].

[1] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ص: 08.

[2] – أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973، ص : 142.

[3] – محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص: 36.

المنارة للاستشارات
ww

يُقسَّم تاريخ الجزائر العثماني إلى أربع مراحل: البلربايات، الباشوات، الأغاوات، ثم الدايات، وخلال مدة الوجود العثماني في الجزائر الذي دام أكثر من ثلاثة قرون، كانت السلطة العثمانية مهتمة بأمرين إثنين، هما: الدفاع عن القطر الجزائر من التحرشات الأوربية، فكوّنت جيشا قويا له صولات وجولات في عرض البحر الأبيض المتوسط، أكسب للجزائر هيبة بين الأمم والدول.

أمّا الأمر الثاني الذي اهتمت به السلطة العثمانية في الجزائر هو كسب طاعة المجتمع الجزائري، ووده، عن طريق استغلال العلماء الذين لهم نفوذ في مجتمعهم، فأغدقت عليهم بالمناصب منها منصب الإفتاء، القضاء، وكيل الأوقاف، الخطابة، الإمامة وغيرها من المناصب، مقابل مساعدة الحكام في استخلاص الضرائب، التي تمثل مظهرا من مظاهر التبعية للسلطة.

لقد كان نظام الحكم العثماني في الجزائر مسايرا لما هو متبع في اسطنبول، فكان قائما على الاهتمام بالجيش، وبالتوسعات من جهة، واستخلاص الضرائب من جهة أخرى، كما كان أيضا تنظيم المجال الديني يتشابه في كل من أيّالة الجزائر وعاصمة الخلافة، فقد استحدثت مؤسسة شيخ الإسلام[4]، وأوكلت لها مهمة الإشراف على القضاء، والإفتاء وغيرها من الوظائف الدينية[5].

ولكن للجزائر بعض الخصوصيات، تمثّلت في قوة جيشها، وبعدها عن مركز الخلافة، ممّا جعل الدولة العثمانية تراعي هذه الحالة، فكانت قوانينها وتنظيماتها تأخذ هذه الخصوصيات في الحسبان، فعلى سبيل المثال: كانت التعيينات في الوظائف الإدارية تمنح من طرف السلطان العثماني، وترسل إلى الولايات، حتى بداية عهد الدايات، حيث أصبحت الجزائر شبه مستقلة عن دولة العثمانية، فكان الداي هو من كانت له سلطة التعيين في المناصب.

ومن المؤسسات التي شملها التسيير وفق النظام العثماني في الجزائر، المؤسسات الدينية: الإفتاء، والقضاء، والوقف وغيرها من المناصب الدينية الأخرى التي كانت عادة تمنح للعائلات

[4]- أحمد صدقي علي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني (828. 1341هـ/1425 . 1922م)، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ج1، صص: 122. 124.

[5]- أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة: هاشم الأيوبي، منشورات جرس برس، لبنان، ط1، 1413هـ/1992م، ص: 77.

المنارة للاستشارات

العلمية، مثل: عائلة الفكون في قسنطينة، وابن باديس، وعائلة قدورة في مدينة الجزائر، وعائلة ابن العنابي في مدينة عنابة، وفي الغرب الجزائري اشتهرت عائلة المقري بمدينة تلمسان، وعائلة كتروسي في مدينة مازونة.

1. التعريف بالوثائق المعتمدة في هذه المداخلة:

هذه الوثائق هي عبارة عن أربعة ظهائر تعود إلى الفترة العثمانية، موضوعاتها تتمثل في تعيينات أفراد من عائلة كتروسي بمدينة مازونة في مناصب دينية مختلفة: قضاء، إفتاء، خطابة، إمامة الصلاة...، وهي ملك لجمعية الظهرة الثقافية.

الوثيقة الأولى[6] تتضمن تعيين السّيد: **أحمد بن خدة بن علي الكتروسي** مفتيا وإماما بمازونة، ومكلفا بأحباسها سنة 1080هـ/1669م.بدابتها:" بسم الله الرحمن الرحيم هذا ظهير كريم وخطاب واضح جسيم....."، نهايتها:" ... وكتب عن إذن عبد الله المجاهد في سبيل الله الباشا أبي العباس أحمد أيده الله بتقديم ذلك بالجزاير مقدم الباشلار سلطان العجم والعرب أدام الله عزه ونصر جنده وجيشه ومنابع الخلايق ومعزة وكرامه وفضلا وتفضيلا وأزكى السلام على النبي المختار والسلام".

الوثيقة الثانية[7] فيها تولية الشيخ محمد بن المهدي مفتيا وخطيبا بمازونة مؤرخة سنة 1212هـ/1795م، بدايتها:" الحمد لله على الله صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

ليعلم الواقف على هذا الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره...." أما نهايتها فهي:"... وكتب بأمر العظيم المحترم السيد عثمان باي نصره الله سنة 1212هـ".

والظهير الثالث[8] جاء فيه تعيين الشيخ محمد بن المهدي مفتيا بمازونة، وكانت بدايته بهذا الشكل:" الحمد لله.....صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ليعلم الواقف على هذا

[6]- ينظر، الملحق رقم:01.
[7]- ينظر، الملحق رقم:02.
[8]- ينظر، الملحق رقم:03.

المنارة للاستشارات
ww

الأمر الكريم والخطاب الواضح الجسيم النافذ أمره العلي شأنه وقدره من إخواننا الخلفوان...."، أما نهايته فهي كالتالي:" ... ومن تعدى الحد فقد استوجب الحد وبتاريخ أول ذي الحجة الحرام كتب بأمر السيد الحاج أحمد الخليفة عام 1215هـ وفقه الله".

والظهير الرابع[9] فهو تعيين السيد محمد بن المهدي قاضيا وأخيه الشيخ علي مفتيا على مازونة، فهو يجمع تعين فردين من عائلة كتروسي في وثيقة واحدة، بدايته:" الحمد لله صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم هذا طابعنا المطاع الذي مخالفته بحول الله وقوته...." أما نهايته فهي:" ... كُتب آخر رجب عام 1228هـ والسلام كتب بأمر المعظم السيد علي الخليفة وفقه الله".

2 . المناصب الدينية بمازونة:

المقصود بالمناصب الدينية تلك الوظائف المتعلقة بالمسجد أساسا، منها: القضاء، الإفتاء، الإمامة، الخطابة، الآذان، الحزاب وغيرها، وكل منها يُشترط في من يتولاها شروطا علمية مثل: بلوغه درجة عالية من العلم، وتعمقه في مسائل الفقه، ومعرفته الواسعة للقرآن، وعلومه، وعلوم الحديث، والقياس ونحو ذلك، وهناك مواصفات أخرى تتعلق بشخصيته، ومنها اتصافه بالتقوى والورع والصدق، وصلابة الموقف والرأي وقول الحق ولو أمام الحاكم[10]، إلى جانب الشهرة بين الناس[11].

[9]- ينظر، الملحق رقم:04.

[10]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500. 1830م، ج:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ص:391.

[11]- بوشنافي محمد، بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر العثمانية خلال العهد العثماني (10 . 13هـ/16 .19م)، إشراف: أ.د. بلقاسمي بوعلام، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ وعلوم الآثار، جامعة وهران، 1428.1429هـ/2007 .2008م، ص:32. وينظر، أبو القاسم سعد الله- المرجع السابق، ص:391

المنارة للاستشارات
ww

كما تتدخل عوامل أخرى في التعيينات لهذه المواصفات: منها تدخل أهل البلد في التعيين، لاعتقاد الناس، أو لارتياحهم لشخصية بعينها، مثلما وقع في مدينة الجزائر حينما طلب سكانها بتولية الشيخ سعيد بن ابراهيم قدورة مفتيا لهم على مذهب مالك[12].

كما أنّ شهرة العائلة بتوارثها للعلماء أيضا دور كبير في تعيين أحد أفرادها في إحدى المناصب الدينية، مثل عائلة الفكون في قسنطينة، وعائلة قدورة في مدينة الجزائر، وعائلة كتروسي في مازونة. ومن المناصب التي تولاها أفراد هذه العائلة (كتروسي) بناء على الوثائق التاريخية هي:

القضاء: فصل الخصومة بين إثنين فأكثر بحكم الله عزّ وجلّ[13]، أو هو الفصل الملزم بين الناس في الخصومات، حسما للتداعي، وقطعا للتنازع وفق الأدلة الشرعية[14].

لقد برزت أسرة الكتروسي بمدينة مازونة خلال العهد العثماني، حيث اشتهرت خلال القرن الحادي عشر للهجرة (ق17م) بالعلم والصلاح، وحُظيت هذه الأسرة بتأييد مطلق، ودعم كبير من طرف بايات الغرب، فتولى عدد من أفرادها مناصب دينية هامة كالقضاء، والفُتيا، والخطابة والإمامة، ولا يزال لها عقب في عصرنا الحالي بمدينة مازونة وهم يحتفظون بمجموعة من الوثائق التاريخية، تعود إلى العهد العثماني.

ومن الأسماء التي وُليت القضاء السيد : محمد بن المهدي15، حيث وُرد إسمه في وثيقتين تحملان تاريخين مختلفين، جاء فيهما تعيين السيد المذكور قاضيا بمدينة مازونة:

---

[12]– ينظر، محمد لعباسي، الإفتاء في الجزائر العثمانية، رسالة دكتوراه، أشراف: أ.د.سلطاني الجيلالي، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013، ص: 76.

[13]– مصطفى الخن وَ مصطفى ديب البغا وَ علي الشربجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط4، 1413هـ/1992م، ج 8، ص:171

[14]– أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية: تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ النظم القضائية في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م.، ص: 246.

[15]– **محمد بن مهدي**: هو أبو عبد الله محمد بن المهدي بن محمد بن المهدي بن أحمد بن علي الإدريسي الحسني المازوني الكتروسي، ينتمي إلى عائلة آل الكتروسي العلمية، التي حظيت بتأييد كبير من طرف بايات الغرب الجزائري، تولى عدد من أفرادها

المنارة للاستشارات
ww

نص الوثيقة الأولى " هذا طابعنا المطاع الذي مخالفته بحول الله وقوته لا تستطاع بيد ماسكه الفقيه النزيه الخايف من ربه العلامة السيد محمد بن المهدي على أننا أنعمنا عليه وولينا قاضيا ببلد مازونة ونواحيها بفصل الخصمات ويقسم التركات ولا يقسم غيره انعاما تاما مطلقا شاملا عاما أمرناه يُفتي بالمشهور ولا يلتفت لمن يتبع الزور فحسبه الواقف على أمرنا هذا أن يعمل بما يعمل بما فيه ولا يتعداه وأصل العمل كله لله وما توفيقي إلا بالله هو السلام كُتب آخر رجب عام 1228هـ والسلام كتب بأمر المعظم السيد علي الخليفة وفقه الله "

وفي الوثيقة الثانية " ليعلم من كتابنا هذا أسماه الله وأعلا امره أننا ولينا الفقيه العلامة السيد محمد بن المهدي المازوني خطة القضاء بمازونة وأحوازها فنعمد إليه أن يتصفح الرسوم ويفصل بين الخصوم بمشهور مذهب الإمام مالك وما جرى به العمل كما ولينا أخاه الفقيه السيد علي الفتوى بالمحل المذكور وما والاه وعليهما في ذلك بتقوى الإله ومراقبته في سره ونجواه والله تعالى يتولى هداهما وبرزقهما الإعانة على ما ولاهما والسلام ذي القعدة الحرام عام 1247هـ ".

ب . الإفتاء: الإفتاء هو إخبار بحكم الله تعالى من دليل شرعي، لمن سأل عنه في أمر نازل، وذلك أن الإخبار عن حكم الله تعالى عن غير سؤال هو إرشاد، والإخبار عن سؤال في غير أمر نازل هو تعليم[16]، وقد خصص له وظيفا خاصا، حيث يُختار من العلماء من يقوم بهذه المهمة الجليلة، وفق شروط معينة، خاصة في الدولة العثمانية، التي نظمت الوظائف الدينية وجعلت لها مؤسسة تسيرها، سمتها بمؤسسة شيخ الإسلام.

أما في أيّالة الجزائر فكانت البايات لهم مهمة تعيين المفتين في المدن، التي تقع داخل الإطار الجغرافي للبايلك، وهو ما كان في مدينة مازونة حيث جُعلت هذه الوظيفة في عائلة كتروسي، حسب الوثائق التالية:

مناصب دينية هامة، كالقضاء، والفتوى، والإمامة، والخطابة. ينظر، لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، ط1، 2009م.، ص: 255.

[16]- محمد عبد الله سليمان الأشقر،الفتيا ومناهج الإفتاء(بحث أصولي)، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1396هـ/1976م، ص:09.

المنارة للاستشارات
ww

حيث ورد في الوثيقة الأولى نصا يتضمن تعيين أحد أفراد عائلة كتروسي مفتيا كالتالي: " ... أحمد بن خدة ابن الولي الصالح المعظم الشهير سيدي علي الكتروسي وأننا انعمنا عليه أن يكون مفتيا ببلاد مازونة وسائر عملته من المحال والأعراب ويكون إماما محضيا وثيقة مرضيا بجامع الكبير المعروف بسيدي عيسى وسيدي عزوز بأبي مانغ ويكون في أحباسها ومتكلفا بالمسجد المذكور في الزيت والبناء والوطاء ومصيره والباقي يشفع به لقصبة ويكون مفتيا على مذهبنا مالك..." وكان هذا سنة 1080هـ الموافق لسنة 1669م.

ومن الوثيقة الثانية جاء نص على الشكل التالي:" ...أما بعد فإننا أنعمنا على السيد محمد بن المهدي وجعلناه مفتيا وخطيبا مرضيا في مسجد أبي ذلول يصلي فيه الصلوات الخمس على سبيل العادة والطريق المعتادة ويفتي من المسلمين في دعا ويعلم الشرعية على سبيل الطريقة الرضية ..." وهو عبارة عن خطاب يُعيين به الشيخ محمد بن المهدي مفتيا وخطيبا بمازونة سنة 1212هـ/ 1795م.

ج . الخطابة:

فإضافة إلى منصبي القضاء والإفتاء كانت وظيفة الخطابة نصيبا للعائلة المذكورة، حيث تمّ تكليف الشيخ محمد بن المهدي سنة 1212هـ مفتيا وخطيبا لأحد مساجد مدينة مازونة، حسب النص التالي:" ...أما بعد فإننا أنعمنا على السيد محمد ولد سيدي المهدي وجعلناه مفتيا وخطيبا مرضيا في مسجد أبي ذلول يصلي فيه الصلوات الخمس على سبيل العادة والطريق المعتادة ويفتي من المسلمين في دعا..."

د. إمامة الصلاة: وهي من الوظائف الدينية ذات الأهمية البالغة في الإسلام، وكانت بعض المساجد يكون الإمام موظفا من طرف الدولة، يُعيّن في منصبه بوثيقة رسمية، كما هو مبيّن في الوثائق التي بين أيدينا، حيث جاء في الوثيقة الأولى التي تتضمن تعين الشيخ أحمد بن خدة بن علي الكتروسي مفتيا لمدينة مازونة وتكليفه بإمامة الصلاة في جامع سيدي عيسى، وسيدي عزوز بأبي

المنارة للاستشارات
ww

ماتع، "... ويكون إماما محضيا وثيقة مرضيا بجامع الكبير المعروف بسيدي عيسى وسيدي عزوز بأبي مانغ..." [17]

والأمر نفسه لما عيّن الشيخ محمد بن المهدي مفتيا لمازونة، حيث تمّ تكليفه أيضا بوظيفة الخطابة وإمامة الصلاة في في مسجد أبي ذلول، "... وجعلناه مفتيا وخطيبا مرضيا في مسجد أبي ذلول يصلي فيه الصلوات الخمس على سبيل العادة والطريق المعتادة ويفتي من المسلمين في دعا ..." [18]

هذه الوظائف الدينية التي حازت عليها عائلة كتروسي في مدينة مازونة من خلال هذه الوثائق التي كان لنا الشرف الوقوف عليها. والتي أمدتنا بمعلومات مهمة عن تاريخ مازونة الثقافي خاصة.

3. صيغة التعيين:

لكل وثيقة إدارية في تحريرها تتخذ صيغة معيّنة، أمّا وثيقة تعيين المفتي في منصبه خلال الجزائر العثمانية، فكانت هي الأخرى لها صيغها الخاص بها، وحسب بعض الوثائق التاريخية، المتضمنة تعيينات لآل كتروسي في مناصب القضاء، والإفتاء، وإمامة الصلاة بمدينة مازونة[19]، فإن هذه التعيينات تبدأ بالبسملة، والحمدلة، والصلاة والسلام على النبي . صلى الله عليه وسلم . في سطر واحد، ثم في السطر الثاني يبدأ مضمون التعيين بعبارة " ليعلم الواقف على أمرنا هذا..." أو "ليعلم

[17]- ينظر، ملحق رقم: 01.

[18]- ينظر، ملحق رقم: 02.

[19]- **مازونة:** تقع على ستة أميال من البحر وهي مدينة بين أجبل وهي أسفل خندق ولها أنهار ومزارع وبساتين وأسواق عامرة ومساكن مونقة ولسوقها يوم معلوم يجتمع إليه أصناف من البربر بضروب من الفواكه والألبان والسمن والعسل كثير بها وهي من أحسن البلاد صفة وأكثرها فواكه وخصباً. ينظر، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب،بيروت، ط1، 1409هـ/ 1989م، ج2، ص: 83.

المنارة للاستشارات
ww

من كتابنا هذا..." وهناك عبارة أخرى يُبدأ بها، هي:" هذا طابعنا المطاع..." أو " هذا ظهير كريم وخطاب واضح جسيم..."

ثم يضاف إلى إحدى هذه العبارات اسم الشخص الذي يُراد تعيينه في المنصب، وبعد ذكر اسمه مباشرة يُتبع بعبارة " أنعمنا عليه على أن يكون مفتيا ببلاد مازونة وسائر عملته من المحال والأعراب..." ويضاف إلى هذه الجملة، التكليفات الأخرى التي كُلف بها هذا المفتي، مثل الخطابة في الجامع، وتولية إمامة الصلاة، وإدراج الوقف تحت مسؤليته.

وفي بعض التعيينات يُكلف شخصين في منصبين مختلفين في وثيقة تعيين واحدة كما هو مبين في الوثيقة الثانية، وينص هذا التعيين على إعفائه من دفع الضرائب، مع وجوب احترامه من طرف جميع الناس. وفي آخر كل تعيين يكتب تاريخ هذا الأخير مع اسم الخليفة الذي قام بإمضاءه.

هذه نماذج من صيغ تعيين العلماء الذين ينحدرون من عائلة آل كتروسي في المناصب الدينية، من طرف السّلطة الحاكمة، التي عملت على تنظيم المؤسسات الدينية بالجزائر قصد بسط نفوذها على هذه المؤسسات، ومراقبة تصرفات الفقهاء، ومحاولة إغرائهم بهذه المناصب حتى يسيروا في فلكها.

4. الامتيازات التي استفادت منها العائلة جراء التعيينات:

ومع جعل المناصب الدينية في عائلة كتروسي بمدينة مازونة، استفادت هذه العائلة من عدة امتيازات خاصة، تعفيهم من خلاله من دفع الضريبة على المياه التي تسقي بساتينهم الكثيرة حول المدينة ، إذ جاء فيه أنّهم أنعموا على " ... السيّد المهدي ، وعلى أخيه الفقيه النزيه السيد أحمد ، والسيّد مصطفى ، والسيّد محيي الدين ، وعلى عمّهم السيّد محمد المهدي ؛ بتحرير ما بأيديهم من نوبة الماء التي على بحايرهم التي نحو مسقي ، وبحيرة تانحسيت ، ونصف بحيرة مرجعة ، وربع في بحيرة العلج ، بحيث لا يطالبهم أحد بشيء..."[20]

[20]- ينظر، ملحق رقم: 02

المنارة للاستشارات
ww

ومن الامتيازات الروحية التي بالغ فيها العثمانيون على أهل العلم والتصوف ومنهم أصحاب المناصب الدينية، إظهار لهم الاحترام أحياء أو أمواتا، وذلك لمعرفتهم بأنّ العلماء أو المرابطين لهم مكانتهم في الأوساط الشعبية، وهذا منذ بداية الحكم العثماني بالجزائر، إذ "...أحاطوهم بالرعاية، بمظاهر الاحترام، ورفعوا من شأنهم في نظر العامة..."[21] ، فاحتقار هذه الفئة معناه الثورة ضدّهم.

ومن مظاهر هذا الاحترام، إقرار الحكام بوجوب احترام المفتي أو القاضي أو المرابط من طرف جميع الناس، فقد أظهرت ذلك الظهائر الخاصة بتعيين المفتي أحمد بن خدة بن علي[22] من عائلة كتروسي بمازونة سنة 1080هـ/1669م، حيث جاء فيها "... ويكون مفتيا على مذهبنا مالك تغمده الله برحمته بغير معارض له، ولا يخالف عليه أحد، وأوصينا على حرمه واحترامه، وحفظ جانبه، بحيث لا يتعدّ عليه، ولا يوقس بما قيسنه الناس، وجميع المطالب المخزنية، والوظايف السلطانية، قلّت أو جلّت، وكذا يحترمونه خماسه، وخدامه، من حرم السيد المذكور..." [23] ، فاحترام المفتي مطلوب من الجميع، حسب هذا الظهير.

وجاء في ظهير آخر فيه تعيّين محمد بن المهدي مفتيا بمازونة سنة 1212هـ/1797م "...وأوصينا بحرمهم واحترامهم وبروزهم وإكرامهم وإنعامهم بحيث لا تهتك لهم حرمة ولا يُهضم لهم جناب ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم من جميع الأمور المخزنية والوظائف السلطانية قلّت أم جلّت..."[24]، هكذا نصّ هذا التعيّين على وجوب احترام الجميع للمفتي.

---

[21]- محمد حاج صادق، ملياني ووليّها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.ص:108.

[22]- أحمد بن خدة بن علي الكتروسي: هو من عائلة آل سيد علي الكتروسي الشريف الحسني الشهيرة بمازونة، عيّنه باشا الجزائر أحمد أبو العباس عبدالله مفتيا وإمام جامع سيدي عيسى وعزوز بحي بوماتع مع أمر السلطات بحمايته وإعفائه من كل الالتزامات. ينظر، جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة،ثغر حربي وإشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،ط1، 1426هـ/2005م، ص:45.

[23]- ينظر، ملحق رقم: 01.

[24]- ينظر، ملحق رقم: 02.

المنارة للاستشارات
ww

5. خاتمة:

ومن أجل كتابة تاريخ أيّة منطقة لابد من احضار الوثائق اللازمة لذلك، فبدونها لا يمكن التأريخ لها، ويبقى الكلام عنها سوى أسطورة يتناقلها الأجيال يشوبها الكثير من الغموض، لا تاريخا مدروسا يُعتمد عليه، بيّنا في مصادره ومظانه، كما هو الحال عن مدينة مازونة: العاصمة السياسية لبايليك الغرب الجزائري، وحاضرة من أشهر الحواضر العلمية في بلاد المغرب الإسلامي، ولكن لما ينصرف الباحث للكتابة عنها يجد نفسه أمام ضآلة الوثائق التي تؤرخ لهذه الفترة الذهبية التي عاشتها مدينة مازونة.

وهنا يأتي دور أصحاب خزائن المخطوطات، ومالكي الوثائق، والجمعيات الثقافية في اظهار ما يملكونه، ويقدمونه للباحثين خدمة لتاريخ المنطقة من جهة، ومساهمة في كتابة تاريخ الجزائر من جهة أخرى.

ولهذه الظهائر التي بين أيدينا أهمية كبيرة جدا، إذ تُبرز جوانب مهمة من الحياة الثقافية في مدينة مازونة، حيث قدمت بين طياتها عائلة اشتهرت بالعلم وهي عائلة كتروسي، وذكرت العديد من العلماء الذين ينتسبون إليها. كما أشارت إلى المساجد الموجود بمازونة، مثل مسجد أبي ذلول، مسجد سيدي عزوز، ومسجد سيدي عيسى وغيرها.

لقد استطاعت السلطة العثمانية أن تقرب العلماء إليها بمنحهم المناصب الدينية، وإعطائهم امتيازات كثيرة من إعفائهم من دفع الضرائب، ووجوب احترامهم من طرف جميع الناس عسكريين أو مدنيين، عثمانيين أو مواطنين جزائريين أو غيرهم، ومن هذه العائلات عائلة آل كتروسي التي برزت خلال العهد العثماني بمدينة مازونة، فساهمت في تولية المناصب الدينية فيها، خاصة القضاء والإفتاء، والإمامة وغيرها.

المنارة للاستشارات
ww

وثيقة تعيين السّيد أحمد بن خدة بن علي الكتروسي مفتيا وإماما بمازونة 1080هـ/1669م

المنارة للاستشارات

وثيقة تعيين السيد محمد بن المهدي مفتيا وخطيبا بمازونة سنة 1212هـ/ 1795م

Lettre du Bey Otmane — 1212 de l'hégire
soit 1795
Se savant Si Mohammed ben El Mahdi
Mufti de Mazouna

المنارة للاستشارات
ww

وثيقة تعيين السّيد محمد بن المهدي مفتيا بمازونة

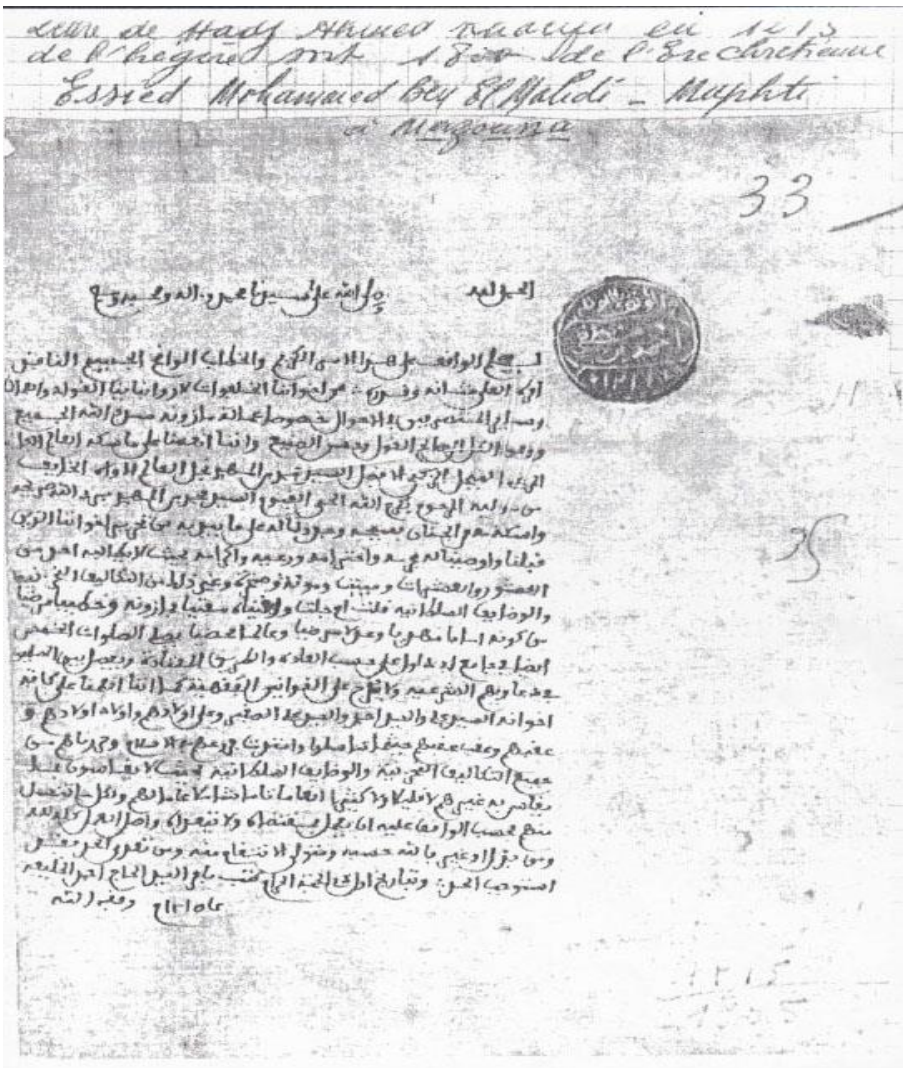

المنارة للاستشارات
ww

وثيقة تعيين السيد محمد بن المهدي قاضيا وأخيه السيد علي مفتيا بمازونة.سنة 1247هـ

Arrêté de Beu Mostefa Bey en date de 1247 de l'hégire (vers 1829 — Nommant Sayed Mohammed Ben El Mahdi El Mazouni cadi-juge de Mazouna et son frère Sayed Ali Mufti de la ville)

المنارة للاستشارات

المصادر والمراجع:

1- أحمد بن محمد بن علي سحنون الراشدي، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم: المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، الجزائر، 1973.

2- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

3- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس الحمودي الحسني المعروف بالشريف

4- الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، 1989م، ج2.

5- محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

6- أحمد صدقي علي شقيرات، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2002، ج1، ص ص: 122. 124.

7- أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية: تاريخ التشريع الإسلامي وتاريخ النظم القضائية في الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1976م.

8- أكرم كيدو، مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة: هاشم الأيوبي، منشورات جرس برس، لبنان، 1413هـ/1992م.

9- جنان الطاهر، مازونة عاصمة الظهرة، ثغر حربي وإشعاع حضاري، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1426هـ/2005م.

10- لزغم فوزية، الإجازات العلمية لعلماء الجزائر العثمانية، دار سنجاق الدين للكتاب، الجزائر، ط1، 2009م.

11- محمد حاج صادق، مليانة ووليّها سيدي أحمد بن يوسف، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت.

المنارة للاستشارات
ww

12- محمد عبد الله سليمان الأشقر،الفتيا ومناهج الإفتاء(بحث أصولي)، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1396هـ/1976م.

13- مصطفى الخن وَ مصطفى ديب البغا وَعلي الشربجي، الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،1992م.

14- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، 1500. 1830م، ج:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.

15- بوشنافي محمد، القضاء والقضاة في الجزائر خلال العهد العثماني (16 .19م)، إشراف: أ.د. بلقاسمي بوعلام، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2007 .2008م.

16- محمد لعباسي، الإفتاء في الجزائر العثمانية، رسالة دكتوراه، إشراف: أ.د. سلطاني الجيلالي، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014/2013.

المنارة للاستشارات
ww